الفتَّاح

فيما يلي نجتاز إلى ردهة أخرى فنستشف شفافيات اسم « الفتاح » .

الفتاح على وزن فعَّال ، وصيغة فعَّال من صيغ مبالغة اسم الفاعل ، وحينما يصاغ اسم الله عز وجل الفتاح أو أي اسم آخر ، صيغة مبالغة فالمعنى أن الله عز وجل يفتح كل الأبواب أو يفتح ما استعصى من الأبواب ، إما مبالغة تكثير أو مبالغة نوع فقد يستعصي باب على الخلق ، فالله سبحانه له ولغيره فتاح .

قد يصاب الإنسان بمرض عضال ، الأطباء جميعاً أعطوا قرارهم ، لا شفاء لهذا المرض ، لا أمل يرجى من هذا المريض ، لا بد أن يموت المريض بعد أيام ، ولا تُجدي معه العملية ، ولا ينفعه أن يسافر إلى بلاد الغرب ، ولا أن يفعل ، ولا أن يدع ، باب الشفاء أُغلق وأُرْتِج وأحكم الإغلاق ، وتواترت آراء الأطباء بذلك .

أعرفُ صديقاً لي أنجب مولوداً بولادة عَسِرة ، سحب الجنين من رحم الأم بآلة تستخدم في الولادة العسرة ، حينما وضع الجهاز على رأسه وسحب أصيب دماغه بخلل ، فصار هذا الطفل الصغير كلما مضى وقت قليل ينتفض ، فسأل صديقي هذا أول طبيب فقال له :

هذه إصابة بالدماغ ، ولابد أن يكون هذا الطفل مستقبلاً أعمى ، أو أبله أو مشلولاً ، قلنا : هذا الطبيب حديث عهد بالعلم ، فسألنا أشهر طبيب أطفال في دمشق يعرف برسوخ قدمه في مجال طب الأطفال ، فقال الكلام نفسه ، ما أضاف ولا أنقص ، سألنا طبيباً ثالثاً ورابعاً وخامساً ثم أُدخِل الطفل مستشفى الأطفال ، وآراء الأطباء وأقوالهم لم تتغير ، لأن الاختلاجات أساسها إصابة الدماغ ، وإصابة الدماغ لا شفاء منها ، لأن الخلية العصبية لا تنمو وهذه « قاعدة » طبية معروفة في عالَم الطب .

لو أن الأعصاب تنمو لمات الإنسان ألماً ، فمن رحمة الله بالإنسان المصاب بهذه الإصابة أن أعصابه لا تنمو ، فالأطباء جميعاً أجمعوا على أن هذا المولود قد يكبَر ويبقى أبله أو مشلولاً أو أعمى ، وصدقوني أن أباه كان يتمنى أن يموت طفله ، لأن موت الطفل الصغير أهون بكثير من أن يكبر على هذه الحالة ، ثم أُخِذَ إلى طبيب آخر ، وهذا الطبيب على شيء من الإيمان ، قال : لعل الله يشفيه ، فأجرى تخطيطاً للدماغ ، وأعطى الدواء وما هي إلا ستة أشهر حتى صار الطفل سوياً كغيره من الأطفال الأسوياء لا شيء يقلق في صحته ، والآن عمره اثنتا عشرة سنة ويتحرك ويلعب وهو متفوق في دراسته ، فهل في الأمر سرّ ؟ نعم : إن الله هو الفتاح ، لقد أغلقوا كل الأبواب ، وربنا عز وجل فتح باب الشفاء .

المعنى البسيط إما أنه يفتح كل باب ، يفتح لك باب الرزق ، يفتح لك باب العمل ، يفتح لك باب الزواج ، يفتح لك باب الراحة النفسية ، يفتح لك باب التوفيق ، يفتح لك باب الطمأنينة ، يفتح لك باب العمل الصالح ، يفتح لك باب الدعوة إلى الله . . أو أنَّ أحد

الأبواب التي استعصت على كل طبيب يفتحه الله عز وجل .

إذاً فتاح صيغة مبالغة اسم الفاعل الفاتح ، الفاتح والفتاح ، يفتح ما أغلق من الأبواب أو ما استعصى من الأبواب ، أو يفتح كل باب ، قال الله تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر : ٢] .

يفتح باب رحمته ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، فإذا أمسك ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تفتح ، وإذا فتح ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تغلق ، قوى الأرض مجتمعةً ليس في إمكانها أن تفتح ما أغلقه الله ولا أن تغلق ما فتحه الله ، قال تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

إذاً الأمر بيد الله وحده ، وإذا أيقنت أن الأمر بيد الله وحده لا بد أن تتجه إليه ، هذه الآية تترك صدىً طيباً جداً في نفس المؤمن ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مُمْسِك لها ، علاقتك محصورة مع الله عز وجل ، ما سوى الله أشباح ، لا تستطيع أن تقدم ولا أن تؤخر ، إن النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق وهو النبي الرسول الذي يوحى إليه ، وهو أكرم الخلق على الله ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف : ١٨٨] قل لهم يا محمد : لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ، فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فلأن لا يملك لغيره من باب أولى ، الله هو الفتاح .

كلمة يرددها الصالحون كلما التقوا بإنسان متوثب ، متفتح ، مندفع ، يقال لهذا الشاب : « **فتح الله عليك فتوح العارفين** » فهي كلمة متنوعة النتائج ، الله يفتح لك باب رزق ، الله يفتح لك باب علم ، الله يفتح لك باب كشف ، الله يفتح لك باب قرب ، الله يفتح لك باب رُقيّ ، الله هو الفتاح ، والكلمة الشهيرة « **فتح الله عليك يا ولدي فتوح العارفين** » .

الآية الأولى إذاً ، قوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

الفتاح له معنى آخر مستنبط من قوله تعالى :

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

أحياناً الأمور تشتبك ، قوى تتصارع ، فلان يدَّعي أنه على حق ، وفلان يكيل التُّهم للآخرين بغير حساب ، الآخرون يكيلون له الصاع صاعين ، ترى الحياة صراعات وتبادل تهم ، تبادل تهاترات ، توزيع ألقاب سيئة أو راقية ، هذا يقول : الشيخ الفلاني سلطان العارفين ، وأولئكِ يقولون : هو الشيخ الأكفر ، فمن هو الحَكَم ، رجل عالم جليل عارف بالله ، بعضهم وصفه بأنه سلطان العارفين ، وبعضهم الآخر في الطرف المقابل وصفه بأنه الشيخ الأكفر ، فمن هو الحَكَم ؟ من عنده قول الحق ؟ من الذي يعرف حقيقة هذا الإنسان بالضبط ؟ الله عز وجل ، فمعنى الفَتْح هنا معنى آخر معنى الحُكْم ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا ﴾ .

يعني كلٌّ يدعي أنه على حق ، كلٌّ يكيل للطرف الآخر التُّهم ، هو

مؤمن والآخرون كفار ، هو مستقيم والآخرون منحرفون ، هو قريب والآخرون ضالون ، هذا على مستوى دين واحد ، أما على المستوى الأرحب فكل دين يتهم الأديان الأخرى بأنها أديان ليست من عند الله ، أو أديان منحرفة ، واللادينيون يتهمون أصحاب الأديان بالتخريف والغيبية والضعف ، الدينيون يتهمون غير الدينيين بأنهم كذا وكذا ، فمن هو الحَكَم ، مَن صاحب الكلمة الفاصلة ؟ من هو الذي يقول أنتم على حق وأنتم على ضلال ؟ الله عز وجل هو الفتاح ، هذا المعنى الثاني مستنبط من قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ .

ما علاقتك بهذا المعنى من هذا الاسم ، فإن كنت على حق فلا تخف لأن الله هو الفتاح ، قد يقول الناس عنك الأقاويل ، قد يتهمونك بتهم لا أساس لها من الصحة ، إذا كنت على حق لا تخف ، ولا تنس قوله تعالى :

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل : ٧٩] .

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام : ٩١] .

إذا آمنت أن الله هو الفتاح وهو الحكم ، هو الذي يرفع ويخفض ، هو الذي يكشف الحقائق هو الذي يُجَلي الأمور ، هو الذي يزيل الالتباس ، هو الله عز وجل الذي بيده الخير كله ، إذا آمنت بأنه هو الفتاح فلا تقلق ، ولو أن الناس أساؤوا فهمَك ، ولو أن الناس أساؤوا الظن بك ، ولو أنهم اتهموك تهماً باطلة لأسباب تافهة ، لا تخف ، من عرف نفسه ما ضرَّته مقالة الناس فيه .

ما الذي يُقلق الإنسان في زمننا هذا ؟ يقلقه أنه متمزق بين جهات

عديدة ؛ تصور ؛ موظف في شركة بل في معمل له عشرة أرباب عمل ، شركة فيها عشرة شركاء في معمل كبير وهو موظف عندهم ، ولو أن هؤلاء الشركاء متفقون متفاهمون ، فعلى الرغم من ذلك فكل شريك سيعطي هذا الموظف أمراً مناقضاً للآخر ، الأول تعال ، الثاني اذهب ، الأول كن غداً في المكتب ، الثاني سافِر ، الأول تأخَّرْ بعد الغداء ، الثاني تعال بعد الظهر واذهبْ باكراً ، هذا إذا كانوا متفاهمين ، فكيف إذا كانوا متخاصمين ، فكيف إذا كانوا شركاء متشاكسين ، فالحياة عندئذٍ لا تطاق .

الإنسان المشرك أو غير المؤمن أو ضعيف الإيمان حياته ممزقة ، كذلك الموظف الذي مر بنا فهو بين أن يُرضي رئيسه وبين أن يُرضي مرؤوسه ، بين أن يُرضي زوجته ، إن أرضى من حوله في العمل تغضب امرأته ، وإن أرضاها يغضب شركاؤه ، وإن أرضى جيرانه يغضب الله عز وجل ، وإن امتنع عن حضور هذه الحفلة أغضب أقرباءه ، حياة كلها تعب ونصب وهو مشتت ، لكن المؤمن يعلم أن الفتاح هو الله ، هو الحكم ، إذا أرضى جهة واحدة استراح « **من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله الهموم كلها ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك** » ، ولا تنسوا قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

أحد أكبر عذابات النفس أن تشرك بالله ، أن تدعوَ مع الله إلهاً آخر ، ليس معنى أن تدعو مع الله إلهاً آخر أن تقول : فلان هذاإله ، بل أن تعامله كما تعامل الإله ، أن تعتمد عليه ، أن تتكل عليه ، أن

تُعلّق عليه الآمال ، أن تطيعه وتعصي خالق الأكوان ، هذا معناه أنك اتخذته إلهاً .

المعنى الأول : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ﴾ الأبواب المغلقة كثيرة ، قد يقال لك : الأبواب كلها مغلقة ، الطرق كلها غير سالكة ، كلما اتجهتُ إلى جهة أُغلق الباب في وجهي ، هذا تعبير يستعمله عامة الناس ، من هو الفتاح ؟ هو الذي يفتح لك الأبواب المغلقة أو الأبواب المستعصية ، أو الأبواب الكثيرة إنه الله الفتاح ، وحينما يَطْهُر الإنسان ، حينما تصبح سريرته سليمة ، حينما يستحق الإكرام تأتيه الدنيا وهي راغمة ، والأثر القدسي « **خلقت لك السموات والأرض ولم أعيَ بخلقهن أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ، لي عليك فريضة ولك عليَّ رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأسلّطنَّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً** » .

إذا كنت في المستوى الذي يستحق الإكرام ، إذا سرت في موجبات رحمة الله عز وجل تأتيك الدنيا وهي راغمة ، لذلك هذا الحديث الذي رواه ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه :

قَالَ خَرَجَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ بِنِصْفِ النَّهَارِ قُلْتُ : مَا بَعَثَ إِلَيْهِ هَذِهِ السَّاعَةَ إلا لِشَيْءٍ سَأَلَ عَنْهُ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : سَأَلَنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ

الدُّنْيَا إلا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

ما تعلق أحد بحب الدنيا إلا أُصيب منها بثلاث ، شغل لا ينفكُّ عناه ، وأمل لا يُدرَك منتهاه ، وفقر لا يُدرك غناه ، لكن حال المؤمن كما قال الله :

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود : ٣] .

متاع المؤمن متاع حسن ، تلفّه راحة نفسية تامة ، ولديه أمل بجنة عرضها السموات والأرض ، ولكن متاع الكافر كله قلق ، ينوبه شعور بالمستقبل المجهول ، شعور قاتل بأنه مُقدِم على مجهول ، ولا سيما الموت المتربص به ، قال الله عز وجل حينما سمع دعاء إبراهيم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة : ١٢٦] .

أجابه ربنا : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ما الفرق إذاً بين متاع المؤمن ومتاع الكافر ؟ متاع المؤمن تتخلله راحة نفسية يمازجها شعور بأن الله عز وجل ادَّخر له نعيماً كبيراً في الآخرة ، أما الكافر فإنه وفي قمة استمتاعه في الدنيا يشعر بقلق من مجهول أقله الموت ، أقله أن تسلب منه هذه النعمة ، لذلك الدعاء الذي أدعو به وأكرر : « **اللهم إنا نعوذ بك من عضال الداء ومن شماتة الأعداء ومن السلب بعد العطاء** » قاصمة الظهر أن يسلب منك شيء قد نلته من الله عز وجل ، فالله عز وجل ، من إكرامه

للمؤمن يجعل خير عمره آخره ، يتعبه في أول حياته ولكن يريحه في آخره ، أما أهل الدنيا فيُعزُّهم في مقتبل حياتهم ثم يأتي العِقاب والذل والهوان والفقر .

« **اللهم! اجعل خير عمري آخره اللهم! اجعل خواتيم رضوانك ، اللهم! اجعل خير أيامي يوم ألقاك** » .

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وبعد فما علاقتك بهذا الاسم ؟ هذه الآية لابد للمؤمن أن يفهمها كما أراد الله عز وجل ، فلو أنه قال : ومفاتح الغيب عنده ، هل تغير المعنى ؟ هو سبحانه قال : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ، هل يستفاد معنى آخر من تقديم عنده ؟ نعم ، فلو قال : ومفاتح الغيب عنده ، فقد تكون عند غيره أيضاً ، أما إذا قال : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ فالتقديم فيه قصر ، فالغيب لا يعلمه إلا الله ، وعنده مفاتح الغيب وحده والعوام يقولون كلمة صحيحة : « **الذي عند الله ليس عند العبد** » ، مرَّ وقت قال الناس فيه : انحبست الأمطار ، جفاف دائم ، ففي العام الحالي بعض ضفاف نهر بردى زرعت ، والناس في الغوطة استيأسوا من أن ترجع هذه الأنهار متدفقة كعادتها ، فهم في جفاف مستمر ، فجأة تدفق نهر بردى بشكل كبير وبكميات دافقة ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ

مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ والناس خاب ظنهم ، فلو قال الطبيب : لم يبق هناك أمل في المريض ، فلا تصدق ، وقل :

إن الطبيب له علم يدل به إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته العقاقير

على حسب عمر الإنسان ، فإذا انتهى عمره وقال الطبيب : لا يوجد أمل ، فلا أمل فيه فلا أمل حقاً ، أما إذا كان هناك بقية في حياته فقد أخطأ الطبيب .

أذكر طبيباً قال عن مريض : بعد أربع ساعات ينتهي عمره ، اشترى أهله السواد وكتبوا النعي ، ثم شفاه الله عز وجل ، هذا الإنسان عاش ثلاثين سنة بعدها والطبيب مات بعد اثني عشر عاماً ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ ، ليس من باب التكذيب ، لا ، ولكن الطبيب يتكلم بحسب علمه ، أما ما سيكون فلا يعلمه إلا الله عز وجل ، فمثلاً : هناك بلاد بالشرق آمنة مطمئنة رخاء مال ، بترول ، غنى ، من يصدق أنها مع رخائها تلتهب فيها نيران الحروب ، ليس هذا في الحسبان .

لبنان في عام ١٩٧٤ كان جنة الله في الأرض ، الأمن والرخاء والبذخ والترف ، كل ما في العالم في هذا البلد ، من يصدق أن الدمار يغطيه والذين زاروه يصفونه بأنه صار قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً .

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ هناك تفسيرات إلهية ، نحن نفهم التفسيرات الأرضية ، على أنها صراع ، حرب أهلية ، مشكلة عربية ، دولية ولكن هناك فهماً دينياً آخر ، قال الله تعالى :

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : ١١٢] .

دائماً اعتمد التفسير القرآني للأحداث ، هناك تفسير أرضي معين ، هناك تفسير من زاوية معينة ، تفسير عربي ، تفسير دولي ، هناك تفسيرات كثيرة جداً ، حتى هناك تفسير نسائي لأحداث لبنان ، قلن « **أصابتها عين** » فالصواب أن تعتمد التفسير الديني ، قال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ .

لبنان وغير لبنان ، شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هذه الآية إذا فهمتها تكذّب الدجالين ، والكهان ، والسحرة ، والمنجمين ، والأفاكين ، تسمع في هذا العصر أنه في كل بلد متقدم جداً هناك فلكيٌّ أو عرّافٌ يأتيه كبار الشخصيات يسألونه عن مستقبلهم المالي مثلاً ، أو الإداري أو السياسي ، فلو قرؤوا هذه الآية لامتنعوا عنهم وعلموا كذبهم .

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ .

انتهى الأمر ، ووضحت الرؤية ، فلمجرد أن تسأل إنساناً عن الغيب فأنت لا تعرف الله ، ولمجرد أن تطرح سؤالاً على كاهن ، تأكد

أنك لا تعرف الله ، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام « **من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد** » [رواه الإمام أحمد والحاكم بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه] ، كل هذا القرآن بصدقه ، ووضوحه ، ورؤيته الصحيحة ، الصافية تتغافل عنه ، والله سبحانه يقول :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٥-٢٧] .

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هذا موقف الإنسان المؤمن ، هذه الآية خطيرة جداً ، قد تطالع مقالة تتحدث عن تنبؤات عام كذا من الأعوام الميلادية ؛ فتسمع بعض الصحفيين وبعض المفكرين يتنبؤون بما سيكون في المستقبل ، مثل هذه المقالات لا تقرأ لأنه ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ إلا إذا كان تنبؤاً لا من باب الجزم بل من باب التكهين حسب معطيات الحاضر ، كاحتمال أن العالم مقبل على أزمة معينة ، مقبل على كذا ، ولكن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، هذه الآية إذا فهمتها

استرحت من اللهاث حول سلبيات كثيرة واطمأنت نفسك .

قالوا : « **ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها** » ، أنت لا تملك إلا وقتك الحاضر ، في هذا الوقت بالذات بإمكانك أن تتوب .

كانت تحضر عندنا في جامع النابلسي أخت كريمة ، منذ ستة عشر عاماً ، ولها صهر بعيد عن الدين بُعداً شديداً ، بل إنه ينكر وجود الله عز وجل ، فكانت تدعو ابنتها أن تدعوَ زوجها لدرس المسجد ، وقد دعته لأكثر من عامين ، ليحضر ولو درساً واحداً لكن دون جدوى ، قال : ذات مرة دخلت ابنتها إلى الدرس ففرحت فرحاً شديداً ، قالت لها : أزوجك معك ؟ قالت : نعم ، كادت ألا تصدق ، هذا الرجل حضر درسين وبعدها أصابته أزمة قلبية ، ونقل إلى المستشفى على شكل إسعاف ، وهو على الحمالة ، قال لأولاده : كل شيء قلته لكم في الماضي باطل ، الحق هو ما جاء في القرآن . . . لا أنسى هذه الكلمات ، ربّى أولاده على شاكلته على أنه لا إله ، حضر درسين ووافته المنية ، وهو على فراش الموت قال لأولاده ، وله ولد مهندس ، قال : كل شيء قلته لكم باطل ، الحق هو ما جاء في القرآن ، نرجو الله أن يقبله ، ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها ، لماذا قال بعض العلماء : إن الحج على الفور ؟ ، من أين انطلقوا ؟ ، لأن الإنسان لا يعرف متى يموت ، ما دام الحج فرضاً على

المستطيع ، فحينما تصبح مستطيعاً يجب أن تحج ، لأن العمر ليس بيدك ، قال ﷺ :

« تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ ـ يَعْنِي : الْفَرِيضَةَ ـ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ » .

[رواه الإمام أحمد بسند حسن من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً]

أي ما يعرض له من مرض أو مشكلة ، أو موت مفاجىء . قال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ : ٢٦] .

كلمة فتح باللغة تعني أن هناك شيئاً مغلقاً ، فهل تقول لإنسان : افتح هذا الباب وهو مفتوح ؟! كلمة ليس لها معنى ، فأنت لا تقول : افتح إلا لما هو مغلق ، إن أُغلق باب بوجهك يجب أن تذكر اسم الفتاح ، حتى لو ضاعت مفاتيحك ، لو ضاعت محفظتك ، لو ضاع شيء ثمين .

حدثني أخ قال : كنت ذاهباً إلى ميناء اللاذقية لتخليص بضاعة ، ومعي مستندات كثيرة جداً ، وهناك أشخاص كلفوني بإيصال مستندات لهم إلى بعض الموظفين في الميناء ، محفظة كلها مستندات ، ذهبت إلى مركز انطلاق المركبات لأركب ، تفقدت هذه المحفظة الممتلئة بهذه المستندات لبضاعة وصلت إلى اللاذقية فلم أجدها ، أقسم بالله ؛ إن الدم جف في عروقه ، قال : اصفرَّ وجهي ، بضائع بالملايين له ولزملائه ، قال : وقفت على مدخل المركز وأدعو يا فتاح ، قال : وقفت ساعة كاملة لا أجد عندي حلاً ، وألغيت سفري ، فما عدت أذكر السيارة التي أقلتني إلى المركز ، ثم بدعاء شديد ، وبدعاء فيه

إلحاح ، وقفت أمامي سيارة ، فقلت لنفسي : أذهب ماشياً على الأقدام ولا أريد الركوب ، قال له السائق : ألست الذي ركبت معي قبل قليل ؟ ثم قال : خذ هذه المحفظة فهي لك ، ببركة الدعاء ، عادت المحفظة ، هو لم يعد يتذكر في أية سيارة ركب ، ولكن السائق بيد الله عز وجل ، وإذا أراد الله عز وجل للسائق أن يعود يلهمه العودة ، ويلقي عطفاً في قلبه ، أو يلقي فيه خوفاً منه ، قال لي بعد ساعة ، وقفت أمامي السيارة ، وظننتها تعرض علي الركوب ، فأشرت للسائق أن اذهب ، لكنه قال لي : ألست الذي ركب معي قبل ساعة ؟ قلت له : بلى . أليست هذه محفظتك ؟ فتلقفتها منه وكدت أطير فرحاً ، وعدت إلى الحياة من جديد .

إذاً فكلمة فتح تعني هناك شيئاً مغلقاً ، وفاتح اسم فاعل ، فتاح صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، صيغة مبالغة لِلْكَم والعدد ، للكم والنوع ، فقضية مستعصية جداً تدعو بيا فتاح يا عليم ، أبواب كثيرة ، يا فتاح يا عليم . ومنه قوله تعالى :

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر : ١١] .

يعني أنها كانت مغلقة ، يقولون في النشرة الجوية : منخفض متمركز في قبرص اتجاهه نحو القطر ، توقع هطول أمطار غزيرة ، تتلبد السماء بالغيوم ولا تنزل أمطار ، تعاد الكرة بعد يومين ، توقع هطول أمطار ، توقع هطول أمطار ، أسبوعاً أولاً ، أسبوعاً ثانياً ، وثالثاً ورابعاً ، مضى أيلول والتشرينين لم تنزل أمطار ، توقع هطول أمطار لا أمل بنزول أمطار ، ومن بعد توقع هطول أمطار بإذن الله ، وبعدها : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ ، يعني أن السماء مغلقة

ومفتاحها بيد الله عز وجل ، والفتح في الحرب الظَفر .

البلاد المفتوحة ، كانت مغلقة محصنة ، جيوش ، قوى ، فتحت الأبواب كلها فتحت للمسلمين ، أصبحت بلاداً إسلامية ، هذه البلاد كانت محتلة من قبل الرومان ففتحت للمسلمين .

كذلك من معاني الفتاح ، هو الحاكم بين الخلق ، لأنه كلما استغلق أمر خلافي بينهم يفتحه الله عز وجل .

ولدينا معنى آخر لكلمة فتح ، هناك فتحٌ لكبار المؤمنين ، أي أن المؤمن أحياناً يفتح الله عليه فيلقي في قلبه نوراً ، يلقي في قلبه معرفة ، وهذا ما يسميه بعض العلماء الكشف ، يكشف الله عن بصيرته ، يرى الحق حقاً والباطل باطلاً ، يسميه علماء آخرون الإراءة ، قال الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ الأنعام : ٧٥] .

أحياناً تشعر أنك لم تكن ترى فأصبحت ترى ، رؤيا قلبية ، أحياناً يرى الإنسان أن مع الكذب تروج تجارته ويربح الكثير فهذا أعمى البصيرة ، إلى أن يرى أن الصدق وحده هو الذي ينجيه ، هذه رؤيا قلبية ، يرى أن الاستقامة في الحياة هي سبب الكرامة ، هذه رؤيا ، بعض الناس يكذب ويغش ويخدع ، ويظن نفسه ذكياً ، لأنه أعمى القلب ، فما هو الفتح بالمعنى الجديد ؟ الفتح أن يفتح الله على بصيرتك ، أن يكشف الله على بصيرتك ، أن يجعل بصيرتك صافيةً ترى بها الخير خيراً والشر شراً .

إذاً بعض العلماء قالوا : « **الفتاح هو الذي فتح قلوب المؤمنين**

بمعرفته ، وفتح على العاصين أبواب مغفرته ، فإن كان عاصياً فالله عز وجل يفتح له باب المغفرة ، وإن كان مؤمناً يفتح له باب معرفته » .

إذا سألت نفسك عما كنت عليه قبل خمس سنوات من الآن ، هل مشاعرك النفسية في المستوى ذاته أم صرت تشعر أن لك رؤية جديدة ولك الآن بصيرة نافذة ، لك إدراك أعمق ، لك قيم أمتن ؟ إن كنت تغيرت عما كنت عليه فهذا هو الفتح ، كلما كشف لك عن بعض الحقائق فقد فتح عليك ، إلى أن يفتح عليك الفتح المبين .

المؤمن يتفاوت مع المؤمن باليقظة والغفلة ، فهناك مؤمن أغلب وقته في غفلة ، مؤمن بالله ولكن في غفلة ، أما المؤمن الأرقى ، أكثر وقته مع الله عز وجل ، دائماً يدعوه ، يستعيذ به يرجوه ، يهتدي بهديه يستلهمه ، والله عز وجل يتجلى على قلبه ، يلقي في قلبه نوراً ، يلقي في قلبه معرفةً ، هذا معنى الفتح .

فالفتح يستخدمه العلماء كثيراً كأن يقولون : « **فتح الله عليك** » أو يقولون « **جاءه الفتح** » .

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] .

الكثير من العوام ، إذا فتح محلاً بشارع فيه رواج شديد مثلاً ، والبضاعة ألبسة نسائية ، والنساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، وعنده موظفون غارقون في المعاصي والآثام ، يكتب على محله التجاري :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

هذا هو الفتح ؟ أن تربح ، أن تبيع النساء الكاسيات العاريات ،

وأن تدير معهن أحاديث ماجنة تدعو إلى الزنى ، هذا هو الفتح المبين ؟ هذا الذي يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً .

الله عز وجل فتح للنبي ﷺ مكة المكرمة فتحاً ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، هذا هو الفتح حقاً وحقيقة .

إذاً الفتاح الذي فتح قلوب المؤمنين بمعرفته ، وفتح للعاصين أبواب مغفرته ، وقيل الفتاح : الذي يعينك في الشدائد وينيلك وجوه الزوائد ، يعينك في الشدة وفي الرخاء يرفعك ، يعطيك عطاءً زائداً ، إذاً هو فتاح .

بعضهم قال : الفتاح هو الذي يفتح أبواب الخير على عباده ، ويسهل عليهم ما كان صعباً ، هذا الفتح يكون تارة في أمور الدين ، يقول لك أحدهم : لديّ كتاب أقرؤه ، ولكني لا أفهم ما فيه ، صعب ، بعد حين يفتح الله على قلبه ، فيقرأ ويفهم ، يقرأ ويتعمق ، يقرأ ويستمتع ، يقرأ ويفقه ، يقرأ ويحفظ ، يقرأ ويتكلم ، فأجرى الله الحكمة على لسانه ، ولكنه سلك طريق العلم والتعلّم طبعاً ، أول الأمر يقول : هذا كتاب لا أفهمه كأنني أنحت في صخر ، ما هذا الكتاب ، أقرأ القرآن لا أفهمه أبداً ، أقرأ الحديث لا أفهمه ، ثم وافاه وقت آخر فبدأ يفهم وبدأ يتعمق وبدأ يطرح أسئلةً ، وبدأ يتلقى أجوبة ، بدأ يحفظ ، بدأ يتمتع ، بدأ يدعو .

إذاً فالله هو الفتاح ، يفتح عليك أبواب العلم ، يفتح عليك أبواب الحكمة فتنطلق على لسانك ، فإذا أخلصت لله أنطق الله لسانك بالحكمة ، فأول أنواع الفتح يفتح عليك في أمور الدين وهو العلم ، ويفتح عليك في أمور الدنيا ، تكون فقيراً فيغنيك ، تكون ضعيفاً

فيقويك ، تكون مظلوماً فينصرك على أعدائك ، تكون مكروباً فيزيل هذه الكربة ويحل محلها الفرحة ، لذلك فالإنسان إذا كان بعيداً عن الله عز وجل لا يمكن أن يسعد ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه : ١٢٤] .

إنه الانقباض ، سل أهل الدنيا ، سل أصحاب مئات الملايين ، سل من يملكون ألوف الملايين ، سل من أوتي قوةً لا حدود لها ، من أوتي مالاً كمال قارون ، سلوهم أيها القرّاء الكرام ، أستحلفكم بالله ، قد يقولون : نحن أشقى الناس قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ .

ماذا يعني فتاح ، يفتح لك باب الأنس به ، يفتح لك باب الإقبال عليه ، يفتح لك باب الرضوان ، يفتح على قلبك باب الرضا ، ترضى أن تسكن في غرفة ونصف تحت الأرض ، وتقول الحمد لله ، وتدخل على رجل بيته خمسمئة متر ، ثمنه ثلاثون مليون ليرة ، يقول لك : السوق كاسدة ، وخسارة هذه السنة كذا مليون ، يعني تدنى مستوى أرباحه كذا مليون ، وعنده مال يكفي الأولاد والأحفاد ، تراه معكراً ، أما الفقير فقد فتح الله عليه باب الرضا ، فتح الله عليه باب السكينة باب الشكر ، الصحة طيبة والحمد لله ، أنا أسعد الناس ، وهذا الذي ما عرف الله عز وجل دائماً في ضيق وضنك وسخط على الله عز وجل ولو حاز الملايين .

إذاً يفتح لك باب الدين بفتح باب العلم على قلبك ، أو يفتح لك باب الغنى إن كنت فقيراً ، إن كنت ضعيفاً يفتح لك باب القوة ، وإن

كنت مريضاً يفتح لك باب الصحة ، إن كنت مكروباً يفتح لك باب الفرحة . قال بعض الشعراء : يا فاتحاً لي كل باب مرتَجِ ، « **المرتج أي المغلق** » الله عز وجل يفتح الأبواب المغلقة يفتح الأبواب المرتجة .

المؤيد في دين الله قال :

يا رب أنت المرتجي ومَن سواك أرتجي
أم هل سواك فاتح لكل باب مرتج

قيل : الفتاح هو الذي يفتح على النفوس باب توفيقه ، يجب أن تعلم أن في القرآن آية واحدة لا ثاني لها ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

قال بعض العلماء : « **لا يمكن أن يحدث شيء في الكون إلا بتوفيق الله تعالى** » ، فحينما بنوا سفينة الفضاء : المتحدي ، أرادوا أن يجربوا تجربة فريدة ، أن يخرج إلى الفضاء الخارجي لمدة تسعة أشهر أو سنة سبعة رجال وامرأة كي تنجب المرأة وهي في الفضاء ، وأعدوا لكل شيء عدته ، ولكل جهاز في المركبة جهازان للمراقبة ، وقد ضبط الجهاز بعدّ تنازلي دقيق جداً وأطلقت المركبة إلى الفضاء وسماها أهل الدنيا المتحدي هذه المركبة بعد سبعين ثانية ، أصبحت كتلةً من اللهب ، فالله ما فتح عليهم ، أغلق دونهم باب التوفيق ، فلذلك ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ .

فإذا فتحتَ محلاً تجارياً ، أو أسست معملاً ، أو أسست مدرسة ، إن أزمعت الزواج ، فقُل : يا فتاح وتخلَّ عن ذاتك ، ولا تقل : أنا خبير سأستخدم كل خبرتي وسأستشير ، وسأسأل محامياً .

أعرف رجلاً ، متبرماً دائماً ، مشمئزاً دائماً ، جمع وطرح وضرب وانتهى رأيه إلى أنه إذا باع معمله ، وبيته ، ومحله التجاري في الحريقة بكذا مليون (القصة قديمة) ، ووضع ماله هذا في بنك في أوروبة والفائدة بالمئة ثمانية عشر ، يعيش في أوروبة ملكاً ، ثم نفّذ الخطة ، باع المحل وباع المعمل وباع البيت وباع السيارة ، ثم أخذ تأشيرة خروج ، وذهب إلى أرقى بلد في العالم ذهب إلى السويد ، في باله أن يضع الأموال بالبنك ويشتري بجزء منها بيتاً وسيارة فخمة ، ثم يعيش على فوائد المبلغ في بحبوحة ، فماذا جرى ؟ إن البنك يطلب وثائق معينة لوضع المبلغ لديه ، والمبلغ كبير جداً فوضعه باسم شخص آخر ، إما قريب له أو صديق له هناك ، وفي اليوم التالي سأله إعادة المبلغ ، قال له : مَن أنت ؟ لا أعرفك وأنكره ، كل ثروته ضاعت بساعات قضاها ، لتأمين وثيقة معينة ، وفي اليوم التالي أنكره ، فأين الذكاء ؟!

هذه أبقِها في بالك ، مع الله لا ينفع ذكاء قال ﷺ : « **لا يغني حذر من قدر** » ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لن يقع شيء إلا بأمر الله .

علاقتك بهذا الاسم أن تسعى جاهداً كي يفتح الله على قلبك باب العلم ، والشيء الثاني أن تفتح أنت على العباد باب خيراتك ، لا تكن قابضاً ، ولتكن باسطاً .

* * *